



# هُمُومُ الْمَيْتِ

لَفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدَّاعِيَةِ الْكَبِيرِ أَبِي بِلَالٍ  
مُحَمَّدِ الْيَاسَنِ الْعَظَمَاءِ الْقَادِرِيِّ الْخَوَوي  
حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

مَكْتَبَةُ الْمَدِينَةِ  
لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

هموم الميت

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، **أما بعد:**

فقد روي عن سيدنا أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من صَلَّى عَلَيَّ فِي يَوْمِ أَلْفِ مَرَّةٍ لَمْ يَمُتْ، حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

**صَلُّوا عَلَيَّ الْحَبِيبِ! صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيَّ مُحَمَّد**

ذكر القشيري في التحبير له: حكي عن بعضهم أنّه قال: رأيت بعضهم في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: وزنت حسناتي، فرجحت السيئات على الحسنات، فجاءت صرّة من السماء، وسقطت في كفة الحسنات، فرجحت فحلت الصرة، فإذا فيها كفّ تراب، ألقيته في قبر مسلم<sup>(٢)</sup>.

**أيها المسلمون: يستحبّ لمن شهدَ دَفْنَ المِيتِ أَنْ يَحْثُو فِي قَبْرِهِ ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ مِنَ التَّرَابِ بِيَدَيْهِ جَمِيعاً، وَيَكُونُ مِنْ قَبْلِ**

<sup>(١)</sup> ذكره المنذري في "الترغيب والترهيب"، كتاب الذكر والدعاء، الترغيب في إكثار الصلاة على النبي، ٣٢٨/٢، (٢٢).

<sup>(٢)</sup> ذكره ابن حجر العسقلاني في "مرفاة المفاتيح"، كتاب الجنائز، ١٨٩/٤.

رأس الميت، ويقول في الحثية الأولى: ﴿مِنَهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾. وفي الثانية: ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾. وفي الثالثة: ﴿وَمِنَهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾<sup>(١)</sup>.

**أيها المسلمون:** استمعوا إلى أحوال الخائفين وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم، إن التشبه بالكرام فلاح.

وهذا سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين إلى الإسلام، وقد لقب بذي النورين؛ لأنه تزوج اثنتين من بنات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وكانت تستحيي الملائكة منه، ومع ذلك كان يخاف من عذاب القبر، ومن أهوال يوم القيامة، فقد روي عن سيدنا هانئ مولى عثمان رضي الله تعالى عنه قال: كان عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه إذا وقف على قبر يبكي، حتى يبلى لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «إن القبر أول منازل الآخرة. فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه. وإن لم

<sup>(١)</sup> "الفتاوى الهندية"، كتاب الصلاة، الفصل في القبر والدفن، ١/١٦٦.

يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ» قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ، إِلَّا وَالْقَبْرَ أَفْظَعَ مِنْهُ»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ سَيِّدُنَا عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِشِدَّةِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى: «لَوْ أَنِّي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَلَا أُدْرِي إِلَى أَيِّتَهُمَا يُؤَمَّرُ بِي، لَاخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ إِلَى أَيِّتَهُمَا أُصِيرُ»<sup>(٢)</sup>.

**أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:** كُلُّ وَاحِدٍ مِّنَّا يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً، وَيَأْخُذُ عَلَى غِرَّةٍ، وَمَعَ ذَلِكَ يَغْفُلُ عَنِ التَّيَقُّظِ مِنْ ذُنُوبِهِ وَيُرْتَكِبُ الذَّنْبَ وَيَنْسَاهُ وَيَنْسَى أَثْرَهُ وَيَقِي رَيْنًا وَغَطَاءً عَلَى قَلْبِهِ وَلَا يَسْتَعِدُّ لِلْمَوْتِ، وَلَا يَخَافُ مِنَ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ.

وَهَذَا هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ كَانَ يَسْقُطُ مِنَ الْخَوْفِ إِذَا سَمِعَ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ مَعْشِيًّا عَلَيْهِ، فَكَانَ يِعَادُ أَيَّامًا، وَأَخَذَ يَوْمًا نَبْتَةً مِنَ الْأَرْضِ، فَقَالَ: «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ هَذِهِ النَّبْتَةَ، يَا لَيْتَنِي لَمْ أَكُ شَيْئًا مَذْكُورًا، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا، يَا لَيْتَنِي لَمْ تَلِدْنِي أُمِّي»<sup>(٣)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ فِي "سُنَنِ"، ، بَابِ ذِكْرِ الْقَبْرِ وَالْبَلَى، ٤/٥٠٠، (٤٢٦٧).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي "الْحَلِيَّةِ"، عَثْمَانُ بْنُ عَفَانَ، ١/٩٩، (١٨٣).

(٣) ذَكَرَهُ الْغَزَالِيُّ فِي "إِحْيَاءِ الْعُلُومِ"، كِتَابُ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، بَيَانُ أَحْوَالِ الصَّحَابَةِ،

أيها المسلمون: وأقبح من نسيان الموت في أحوال الفرح والشُّرُور نسيانه عند التعرُّض للمصائب، وليتدكَّر الأخ الحبيب أنه سيفارق عند موته أهله وأحبته ورفاقه، ويفارق كلَّ متاع يحبه، فكم ستكون الفاجعة كبيرة والمصيبة مُدْلَهمة والهَمُّ قتال فجبال الصدمات التي تنزل به لا يَعْلَمُها غيرُه، فالحسرة حَسْرته والمُصيبة مصيبته، لأنَّ العَقْل يَبْقَى سليماً بعد الموت، حتَّى يحسَّ الميت بصدمة فراق والدَيْه وزوجته وأولاده وإخوانه وأخواته، وأصحابه مع فراقه للسيارة والملبس والمَسْكَن والمَحَلَّات، والمَصانِع ويحسُّ بِالْم فراق كلِّ شيء، فمن يكون لديه مال قليل يكون غمُّه أقلَّ، أمَّا ذو المال الكثير فغمُّه لفراقه أكثر.

قال حجَّة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: وينكشف كلُّ ذلك عند انقطاع النفس، وقبل الدفن، وتشتعل فيه نيران الفراق، أعني: فراق ما كان يطمئنُّ إليه من هذه الدنيا الفانية<sup>(١)</sup>.  
 أمَّا المسلم الذي اكتفى من متاع الدنيا بما يكفيه ويؤوِّيه، وأخذ منها لضرورة معاشه، وتزوَّد للآخرة، فالموت تحفة له، وكذلك إنَّ عباد الله الصالحين الذين لم يُحِبُّوا مالاً ولا أسباب

(١) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السابع، ٥/٢٤٨.

الدنيا الفانية، لا يصيبهم عند الفراق للأموال غمٌ ولا حزن، ولا صدمة بل تصيبهم راحة الجنة في قبورهم، وقد جاء في الحديث الشريف عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المؤمن في قبره في رَوْضَةٍ، ويُرحب له قبره سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ له كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»<sup>(١)</sup>.

قال سيدنا مسروق رضي الله تعالى عنه: «مَا غَبَطْتُ أَحَدًا مَا غَبَطْتُ مُؤْمِنًا فِي اللَّحْدِ، قَدْ اسْتَرَّاحَ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا، وَأَمِنَ عَذَابَ اللَّهِ تَعَالَى»<sup>(٢)</sup>.

قال سيدنا عطاء بن يسار رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: «يَا عَمْرُ، كَيْفَ بَكَ إِذَا أَنْتَ مِتَّ فَانْطَلَقَ بِكَ قَوْمُكَ، فَقَاسُوا لَكَ ثَلَاثَةَ أَذْرُعٍ فِي ذِرَاعٍ وَشِبْرٍ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْكَ، فَغَسَلُوكَ وَكَفَّنُوكَ وَحَنَّنُوكَ ثُمَّ احْتَمَلُوكَ، حَتَّى يَضَعُوكَ فِيهِ ثُمَّ يُهَيِّلُوا عَلَيْكَ التُّرَابَ وَيَدْفَنُوكَ، فَإِذَا انْصَرَفُوا عَنْكَ أَتَاكَ

---

<sup>(١)</sup> أخرجه أبو يعلى في "مسنده"، مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، ٥/٥٠٨، (٦٦١٣).

<sup>(٢)</sup> ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السابع في حقيقة الموت، ٥/٢٤٩.

فتَنَا القَبْرَ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، أَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ القَاصِفِ، وَأَبْصَارُهُمَا  
كَالْبَرْقِ الخَاطِفِ، يَجْرَانِ أَشْعَارُهُمَا، وَيُحِثَانِ القَبْرَ بِأَنْيَابِهِمَا،  
فَتَلْتَلِكُكَ وَتَرْتُرَاكَ، كَيْفَ بَكَ عِنْدَ ذَلِكَ يَا عُمَرُ؟». فَقَالَ سَيِّدُنَا  
عُمَرُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: وَيَكُونُ مَعِيَ مِثْلَ عَقْلِي الْآنَ؟ قَالَ:  
نَعَمْ، قَالَ: إِذَا أَكْفَيْكُهُمَا<sup>(١)</sup>.

قال حجّة الإسلام الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى:  
هذا نصّ صريح في أنّ العَقْلَ لَا يَتَغَيَّرُ بِالمَوْتِ، إِنَّمَا يَتَغَيَّرُ البَدَنُ  
وَالأَعْضَاءُ فيكون الميت عاقلاً، مُدْرِكاً، عالماً، بالآلام واللذات  
كما كان لَا يَتَغَيَّرُ مِنْ عَقْلِهِ شَيْءٌ<sup>(٢)</sup>.

**أيها المسلمون:** أقسم بالله إنّها أهوال وأحداث، تقلق أشدّ  
القلق، وتخوف أشدّ الخوف، فالحيوان بموته تنتهي القوّة  
المَحْسُوسَة لديه، لكن عَقْلَ الإنسان يكون قائماً باقياً، بل إنّ  
قوّة النظر والسَّمْعَ تَتَضَاعَفُ، فكيف بنا إن غضب الله عزّ وجلّ  
بسبب الذنوب والمعاصي؟!!

<sup>(١)</sup> ذكره الغزالي في "إحياء العلوم" كتاب ذكر الموت وما بعده، ٢٥٨/٥، وابن أبي  
داود في "البعث"، ص ٨، (٧)، وعبد الرزاق في "مصنفه"، كتاب الجنائز،  
٣٨٩/٣، (٦٧٦٧).

<sup>(٢)</sup> ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، ٢٥٨/٥.



فتفكروا أيها المسلمون: نحن نضجر ونجزع ونحزن حين نكون محتبسين في مكان جميل فكيف بنا حين نبقى وحدنا في قبر موحش، بين الجدارين الضيقين وبين أطباق التراب، وإنّ العقل يبقى سليماً، نحن نرى ذهاب الناس عنا ونسمع قرع نعالمهم، وأفواهنا تحت أطباق التراب.

فاتّقوا الله أيها الغافلون عن الموت واعتبروا أيها الساهرون على مشاهدة المسلسلات والأفلام، ويا من يسمع شريط الموسيقى والغناء، ويا من يضع الصلاة والصيام، ويا من يقطع الطريق ويروع الناس بالقتل والنهب والسرقه ويا من أغراه قرناء السوء باقتراف الذنوب والمعاصي، ارجعوا وأنبيوا إلى ربّكم، إنّ باب التوبة مفتوح، فسارعوا قبل الفوات، قبل أن يختم لكم بخاتمة السوء، وقبل أن يضيق عليكم قبركم، وتختلف أضلاعكم، ويأتيكم عذاب القبر وعذاب النار والعياذ بالله تعالى، وكان بكر العابد رحمه الله تعالى يقول لأمه: يا أمّاه، ليتك كنت بي عقيماً، إنّ لابنك في القبر حبساً طويلاً، وإنّ له من بعد ذلك رحيلاً<sup>(١)</sup>.

(١) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السادس، ٢٣٨/٥.

فتفكر أيها المسلم في الموت وحقيقته، إنه قد يأتيك اليوم ثم بعد الموت ستنزل، وتحبس في قبر شديد الظلام وضيق المكان، إنك وإن كنت لا تستطيع الحراك فإنك تسمع وترى كل شيء، فعن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «إن الميت يعرف من يحمله، ومن يغسله، ومن يدليه في قبره»<sup>(١)</sup>.

وروي عن سيدنا عبد الله بن عبيد رضي الله تعالى عنه يقول بلغني: «أن الميت يقعد في حفرته، وهو يسمع خطو مشييعه، ولا يكلمه شيء أول من حفرته تقول: ويحك ابن آدم أليس قد حذرتني، وحذرت ضيقي وظلمتي وتنتي وهولي، هذا ما أعددت لك، فما أعددت لي؟»<sup>(٢)</sup>.

**أيها المسلمون:** كيف بك إذا كنت وحيداً فريداً في قبر موحش مظلم، مساحته ضيقة وليست متسعة، ليس لك أنيس، ولا جليس، ولا تستطيع الحراك وتسمع وترى كل شيء، فإن كنت متبعباً للشريعة المصطفوية ومحافظاً على الصلوات

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، مسند أبي سعيد الخدري، ٨/٤، (١٠٩٩٧).

(٢) "كتاب الزهد والرقائق"، لابن المبارك، باب ما يبشر به الميت، ص ٤١، (١٦٣).

الخمس مع الجماعة، تقيًّا، ذاكرًا لله، فإنَّه يوسع لك في قبرك، وتكون لك إن شاء الله روضة من رياض الجنَّة، وإن أضعت صلاتك وصيامك، والتزمت بالزي الحرام فيضيق عليك قبرك، وتكون لك مصائب وآفات، قال سيدنا عبيد بن عمير رضي الله تعالى عنه: «ليس من ميت يموت، إلَّا نادته حُفْرَتَه التي يدفن فيها: أنا بَيْت الظلمة والوحدة والانفراد، فإن كنت في حياتك لله مُطِيعاً كنت عليك اليوم رحمة، وإن كنت عاصياً فأنا اليوم عليك نَقْمَةٌ، أنا الذي من دخلني مُطِيعاً خَرَجَ مسروراً، ومن دخلني عاصياً خَرَجَ مَثْبُوراً»<sup>(١)</sup>. فيا لتعاسته ويا لشقاوته هذا العاصي، هل سيتحمل نداءات العتاب في الوقت الذي ما عاد ينفع فيه العتاب؟! وفي الساعة التي ليس بعدها رجعة إلى دار الغرور؟! كم هو في ألم؟! كم هو في وجع؟! كم هو في حيرة وقلق وشرود، وهو لا يدري ما يفعل به؟! بل حتَّى يعاتبه جيرانه من سكنى القبور:

عن محمد بن صبيح رحمه الله تعالى قال: بلغنا أنَّ الرجل إذا وضع في قبره عُدِّبَ أو أصابه بعض ما يكره، ناداه جيرانه من

(١) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السابع، ٥/٢٥٢.

الموتى: أيها المُتخَلِّف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه، أما كان لك فينا معتبر؟! أما كان لك في متقدِّمنا إيَّاك فكرة؟! أما رأيتَ انقطاع أعمالنا عنَّا وأنت في المهلة؟ فهلاً استدركت ما فات إخوانك؟! وتناديه بقاع الأرض: أيها المغترّ بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الأرض، ممن غرّته الدنيا قبلك؟! ثم سبق به أجله إلى القبور، وأنت تراه محمولاً، تهاداه أحبته إلى المنزل الذي لا بدّ له منه<sup>(١)</sup>.

وعن سيدنا عطاء بن يسار رضي الله تعالى عنه قال: إذا وُضِعَ الميت في لَحْدِهِ، فأوّل شيء يأتيه عمله، فيضرب فحذَه الشَّمَال، فيقول: أنا عمّك. فيقول: أين أهلي وولدي، وعشيرتي، وما خولني الله تعالى؟ فيقول: تركتَ أهلك وولدك وعشيرتك وما خولك الله وراء ظَهْرِكَ، فلم يدخُل قبرك معك غيري، فيقول: يا ليتني آثرْتُك على أهلي وولدي وعشيرتي، وما خولني الله تعالى، إذ لم يدخُل معي غيرك<sup>(٢)</sup>.

(١) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السابع، بيان كلام القبر للميت، ٢٥٣/٥.

(٢) ذكره عبد الجبار (ت ٣٦٠هـ) في "تاريخ داريا"، ص ١٦٨، (١٢٢)، والسيوطي في "شرح الصدور"، باب ضمة القبر لكل أحد، ص ١١١.

أيها المسلمون: والله إنَّ القبر له هول عظيم، وإنَّ فضاوته  
لشديدة، قال رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما رأيت  
منظراً قطّ، إلَّا القبر أفضع منه»<sup>(١)</sup>.

وعن سيدنا البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: كنّا  
مع رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي جنازة فجلس  
على شفير القبر فبكى، حتّى بلّ الثرى ثم قال: «يا إخواني لمثل  
هذا فأعدّوا»<sup>(٢)</sup>.

وكان الحسن بن صالح رحمه الله تعالى إذا أشرف على  
المقابر، يقول: ما أحسن ظواهرُك، إنّما الدواهي في  
بواطنك<sup>(٣)</sup>.

وكان عطاء السلمي رحمه الله تعالى إذا جنّ عليه الليل،  
خرَجَ إلى المقبرة ثم يقول: يا أهل القُبُور، متم فواموتاه،  
وعايئتم أعمالكم، فواعملاه، ثم يقول: غدًا عطاء في القُبُور،  
فلا يزال ذلك دأبه حتّى يُصبح<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الزهد، ١٣٨/٤، (٢٣١٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب الحزن، ٤٦٦/٤، (٤١٩٥).

(٣) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السادس، ٢٣٨/٥.

(٤) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، باب بيان حال القبر، ٢٣٨/٥.

وقال سيدنا أبو ذرّ الغفاري رضي الله تعالى عنه: ألا أخبركم بيوم فقري: يوم أوضع في قبري<sup>(١)</sup>.

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

**أيها المسلمون:** فالمطلوب أن يستعدّ المؤمن لهذا الأمر، ويتهيأ له بالعمل الصالح، فقد قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: من أكثر من ذكرِ القبر وجدّه روضةً من رياض الجنة، ومن غفل عن ذكره وجدّه حُفرةً من حُفر النار<sup>(٣)</sup>.

قال ثابت البناني رحمه الله تعالى: دخلتُ المقابر، فلما قصدتُ الخروج منها، فإذا بصوت قائل، يقول: يا ثابت، لا يُغرّنك صموت أهلها، فكم من نفس مغمومة فيها<sup>(٤)</sup>.

وكان الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى قد حفر في داره قبراً، فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه، فاضطجع ومكث

(١) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، بيان حال القبر، ٢٣٧/٥.

(٢) أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب صفة القيامة، ٢٠٩/٤، (٢٤٦٨).

(٣) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، بيان حال القبر، ٢٣٨/٥.

(٤) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، بيان حال القبر، ٢٣٨/٥.

ما شاء الله، ثم يقول: ﴿رَبِّ أَرْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩/٢٣-١٠٠]. يردّها، ثم يرد على نفسه: يا رب، قد رجعتك فاعمل<sup>(١)</sup>. وكان أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه يقعد إلى القبور، فقيل له في ذلك، فقال: أجلس إلى قوم يذكرونني معادي، وإذا قمت لم يغتابوني<sup>(٢)</sup>.

وكان جعفر بن محمد رحمه الله تعالى يأتي القبور ليلاً، ويقول: يا أهل القبور ما لي إذا دعوتكم لا تُجيبوني، ثم يقول: حيل والله بينهم وبين جوابي، كأنني بي أكون مثلهم، ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر<sup>(٣)</sup>. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لبعض جلسائه: يا فلان، لقد أرقّت الليلة أتفكّر في القبر وساكنه، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة في قبره، لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام، ويجري فيه الصديد، وتخرقه الديدان مع تغيّر الريح، وبلى

(١) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، بيان حال القبر، ٢٣٨/٥.

(٢) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السادس، بيان حال القبر، ٢٣٧/٥.

(٣) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السادس، بيان حال القبر، ٢٣٧/٥.

الأكفان بعد حسن الهيئة، وطيب الريح، ونقاء الثوب، قال: ثم شَهَقَ شَهَقَةً خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>. قال سيدنا أحمد بن حرب رحمه الله تعالى: تَتَعَجَّبُ الْأَرْضُ مِنْ رَجُلٍ يَمَهِّدُ مَضْجَعَهُ، يسوي فراشه للنوم وتقول: يا ابن آدم، لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء؟!<sup>(٢)</sup>.

وكان يزيد الرقاشي رحمه الله تعالى يقول: أيها المقبور في حُفْرَتِهِ، وَالْمُتَحَلِّي فِي الْقَبْرِ بَوْحَدَتِهِ، الْمُسْتَأْنَسُ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ بِأَعْمَالِهِ، لَيْتَ شَعْرِي بِأَيِّ أَعْمَالِكَ اسْتَبَشَرْتَ، وَبَأَيِّ إِخْوَانِكَ اغْتَبَطْتَ، ثم يبكي حتى ييلَّ عمامته، ثم يقول: استبشر والله بأعماله الصالحة واغْتَبَطْ وَاللَّهِ بِإِخْوَانِهِ الْمُتَعَاوِنِينَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يخور الثور<sup>(٣)</sup>.

**أيها المسلمون:** إنَّ الرجل إنما يعذب في قبره بالشيء الذي كان يخافه في الدنيا، فمن الناس من يخاف من الجرو أكثر من الأسد، وطبائع الخلق متفرقة، نقل الإمام جلال الدين

(١) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، بيان حال القبر، ٢٣٧/٥.

(٢) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السادس، ٢٣٨/٥.

(٣) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السادس، ٢٣٧/٥.



عبد الرحمن السيوطي عن أبي المليح الرقي رحمهما الله تعالى قال: إذا أُدخِلَ ابن آدم قبره لم يَبْقَ شيء كان يخافه في الدنيا دونَ الله عزَّ وجلَّ، إلاَّ تَمَثَّلَ له يَفزعه في لَحْدِهِ؛ لأنَّه كان في الدنيا يَخَافُه دونَ الله عزَّ وجلَّ<sup>(١)</sup>. يقول حجة الإسلام الإمام محمد الغزالي عليه رحمة الله الوالي: فَإِنَّكَ لو شاهدت بُنُورَ البصيرة باطنك لرَأَيْتَه مشحوناً بأصناف السِّبَاعِ وأنواع الهَوَامِّ، مثل الغَضَبِ والشَّهْوَةِ والحِقْدِ والأَحْسَدِ والكبر والعجب والرياء وغيرها، وهي التي لا تزال تفترسك، وتنهشك إن غفلت عنها لحظة، إلاَّ أَنَّكَ محجوب العين عن مُشاهدَتِها، فإذا انكشف الغطاء، ووضعت في قبرك عاينتها تمثلت لك بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها، فترى بعينك العقارب والحيات، وقد أَحْدَقَتْ بك في قبرك وإِثْمًا هي صفاتك الحاضرة الآن، قد انكشف لك صورها، فإن أردت أن تقتلها وتقهرها وأنت قادر عليها قبل الموت، فافعل وإلاَّ فوطِّن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك، فضلاً عن ظاهر بشرتك<sup>(٢)</sup>.

(١) ذكره السيوطي في "شرح الصدور"، باب ضمة القبر لكل أحد، ص ١١٢.

(٢) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب الخوف والرجاء، ٤/٢٣٣.

أيها المسلمون: إن غفلتنا شديدة جدًّا، فإنَّ الإنسان ييذل الجهد والقوة في طلب علوم الدنيا، ويجتهد في جمع المال وكسبه، وتميل نفسه إلى الدعة والرفاهية، ويضيع عمره في الذنوب والمعاصي، ولكن مع الأسف الشديد لا يسعى في طلب علوم الدين، ولا يتفكّر في التزود للآخرة وحفظ الإيمان، وقد يتكلّم بكلمة لا يلقي لها بالاً ويخرج بها عن دائرة الإسلام والعياذ بالله تعالى من ذلك، فإنَّ من ختم له بالكفر يخلد في النار، ويستحقّ العذاب الشديد: نقل حجة الإسلام الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى: قال محمد بن المنكدر رحمه الله تعالى: بلغني أنّ الكافر يسلّط عليه في قبره دابة عمياء صماء، في يدها سوط من حديد، في رأسه مثل غرب الجمل، تضربه به إلى يوم القيامة، لا تراه فتتقيه، ولا تسمع صوته فترحمه<sup>(١)</sup>.

فاطلبوا أيها المسلمون حسنَ الخاتمة بالدعاء وبعمل جميع الأسباب المؤدّية إلى حسن الختام، وتخوفوا من سوء العاقبة وسوء الخاتمة، وكان السلف الصالح ييكون من شدّة الخوف

(١) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، ٥/٢٥٩.

من سوء الخاتمة، قال سيدنا الحسن البصري رحمه الله تعالى: يخرج من النار رجل بعد ألف عام، يا ليتني كنت ذلك الرجل، وإنما قال ذلك لخوفه من الخلود وسوء الخاتمة<sup>(١)</sup>. وروي أن الحسن البصري رحمه الله تعالى ما ضحك أربعين سنة، قال الراوي: وكنت إذا رأيته قاعداً كأنه أسير، قد قدم لتضرب عنقه. وإذا تكلم كأنه يعاين الآخرة، فيخبر عن مُشاهدتها، فإذا سكت كأن النار تسعر بين عينيه، وعوتب في شدة حزنه وخوفه، فقال: ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع عليّ على بعض ما يكره، فمقتني، فقال: اذهب فلا غفرت لك، فأنا أعمل في غير معتمَل<sup>(٢)</sup>. ورؤي في الليلة التي مات فيها الحسن البصري، كأن أبواب السماء مفتحة، وكأنّ منادياً ينادي: ألا إنّ الحسن البصري قدم على الله عزّ وجلّ وهو عنه راضٍ<sup>(٣)</sup>.

**أيها المسلمون: الصحبة السيئة فإنّ أثرها على المرء واضح وخطير بلا شكّ، حتّى أنّها تؤثر على عقيدته، فعلى المؤمن أن**

(١) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب الخوف والرجاء، ٢٣١/٤.

(٢) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب الخوف والرجاء، ٢٣١/٤.

(٣) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب الثامن، بيان منامات

يختار الخليلَ المرضي في دينه وخلقه، ويحذر صحبة الأشرار، والفساق والكفار، فإن مصابحتهم مُضرةٌ من جميع الوجوه على مَنْ خالطهم، ومن الأسباب التي تفضي إلى النار، فكم هلك بسببهم أقوام، وكم أقادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون، ويحذر المسلم من أن يكون ممن يندم ويقول يوم القيامة: ﴿يَنْوِيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيْلًا﴾ (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ

لِلْإِنْسَانِ خَذُوْلًا ﴿﴾ [الفرقان: ٢٦/٢٨-٢٩]. وينبغي على العبد أن يعمل بالأسباب التي تُوصِلُ إلى حُسْنِ الخاتمة، ويتعد عن جميع الأسباب التي تنشأ عنها سوء الخاتمة، ويسأل الله حسن الخاتمة بالإيمان، ومن أسباب حفظ الإيمان أن يسلك الطريق، على يد شيخ كامل، ويأخذ الطريقة العالية، ويقرأ أوراد حفظ الإيمان، كمن يقول كلَّ يوم في الصباح: «يا حيّ يا قيوم لا إله إلا أنت» ٤١ مرّةً، مبتدئاً بالصلاة على النبي الكريم صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثلاث مرّات ومختتماً، فإن قلبه يبقى سليماً، وتكون خاتمته بالإيمان إن شاء الله عزّ وجلّ.

وكان طاؤوس رحمه الله تعالى يفرش له الفراش فيضطجع ويتقلّى كما تتقلّى الحبة في المقلّى، ثم يثب فيدرجه، ويستقبل القبلة حتّى الصباح، ويقول: طيّر ذكر جهنم نوم الخائفين<sup>(١)</sup>.  
وحكي أنّ أويساً القرني رحمه الله تعالى كان يحضر عند القاص، فيبكي من كلامه، فإذا ذكر النار صرخ أويس، ثم يقوم منطلقاً، فيتبعه الناس، فيقولون: مجنون، مجنون<sup>(٢)</sup>.

وقال سيدنا معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه: «إنّ المؤمن لا يسكن روعه، حتّى يترك جسر جهنّم وراءه»<sup>(٣)</sup>.

ومن يريد التوسع، فعليه أن يقرأ الكتب: أسباب سوء الخاتمة، لما له من أثر عظيم، في النفوس، وقد حدثني بعض الناس عن رجل أنّه قال: لما قرأت كتيب أسباب سوء الخاتمة في الليل، بكيتُ بشدّة الخوف من سوء الخاتمة، وفزعتُ من ذلك فزعاً شديداً، وجرت الدموع من عيني، فبينما أنا كذلك، إذ غلبتني عيائي، فنمتُ، فرأيتُ في المنام سيدنا ونبينا محمد

---

(١) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الصحابة،

٢٣١/٤.

(٢) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب الخوف والرجاء، ٢٣١/٤.

(٣) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب الخوف والرجاء، ٢٣١/٤.

صلى الله تعالى عليه وسلم، فقلتُ: يا رسول الله، أسألك أن تدعو لي أن يثبت الله قلبي على دينه وطاعته، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: يَسلمُ إيمانك، وتحصل لك خير كثير.

وقد جاء في الحديث الشريف عن سيدنا البراء رضي الله تعالى عنه: «من قرأ ألم السجدة، وتبارك الذي بيده الملك، قبل النوم نجا من عذاب القبر، ووقى فتاني القبر»<sup>(١)</sup>.

وقال شقيق البلخي رحمه الله تعالى: طلبنا خمساً فوجدناها في خمس. طلبنا بركة القوت فوجدناها في صلاة الضحى، وطلبنا ضياء القبور، فوجدناه في صلاة الليل. وطلبنا جواب منكر ونكير، فوجدناه في قراءة القرآن. وطلبنا عبور الصراط، فوجدناه في الصوم والصدقة. وطلبنا ظل العرش، فوجدناه في الخلوة<sup>(٢)</sup>. وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إذا وضع الميت في قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته فإن أتاه من قبل رأسه جاء قراءته للقرآن، وإن أتاه من قبل رجله جاء قيامه، وإن أتاه

(١) ذكره السيوطي في "شرح الصدور"، باب من لا يسأل في القبر، ص ١٤٩.

(٢) "روض الرياحين" لليافعي، الحكاية السابعة والثلاثون بعد الثلاث مئة، ص ٢٨١.

من قبل يده قالت اليدان: والله لقد كان يبسطني للصدقة والدعاء، لا سبيل لكم عليه، وإن جاء من قبل فيه، جاء ذكره وصيامه، وكذلك تقف الصلاة والصبر ناحية، فيقول: أما إنني لو رأيت خللاً كنت أنا صاحبه»<sup>(١)</sup>.

**أيها المسلمون:** شرفُ الانتساب إلى عباد الله الصالحين، والاقتران بهم، من أسباب المنجيات العظيمة، وقد روي عن هبة الله بن سلامة المفسر، قال: كان لنا شيخ، نقرأ عليه في باب محول، فمات بعض أصحابه، فرآه الشيخ في النوم، فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قال: فما حالك مع منكر ونكير؟ قال: يا أستاذ، لما أجلساني وقالوا: من ربك؟ من نبيك؟ فألهمني الله عزّ وجلّ أن قلت لهما: بحقّ أبي بكر وعمر دعاني، فقال أحدهما للآخر: قد أقسم علينا بعظيم، دعه فتركاني، وانصرفا<sup>(٢)</sup>. وحكي أنّ رجلاً خادماً للشيخ أبي يزيد كان يحمل فروته على كتفه، وكان رجلاً صالحاً، فجرى الحديث في

<sup>(١)</sup> ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السابع، بيان سؤال منكر ونكير، ٢٥٩/٥

<sup>(٢)</sup> ذكره ابن الجوزي (ت ٤١٠هـ) في "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"، هبة الله بن سلامة، ١٣٨/١٥.

مسألة منكر ونكير في القبر، فقال ذلك الفقير، وكان مغربياً:  
والله إن سألاني، لأقولنّ لهما، فقالوا له: من يعلم ذلك؟ فقال:  
اقعدوا على قبري حتى تسمعوا، فلما مات المغربي جلسوا على  
قبره، فسمعوا المسألة، وسمعه يقول: أتسألاني، وقد حملت  
فروة أبي يزيد على عنقي؟ فمضوا وتركوه<sup>(١)</sup>.

اسمعوا حكايتين، للعبرة والموعظة الحسنة: قد روي عن  
سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه جلس يحدث عن  
رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: «أحرج على  
كل قاطع رحم إلا قام من عندنا»، فلم يقم أحد إلا شاب من  
أقصى الحلقة ثم ذهب إلى عمته، لأنه كان قد صارمها منذ  
سنين، فصالحها، فقالت له عمته: ما جاء بك يا ابن أخي؟  
فقال: إني جلست إلى سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه  
صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: «أحرج  
على كل قاطع رحم إلا قام من عندنا» فقالت له عمته: ارجع  
إلى سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، واسأله لم ذلك؟  
فرجع إليه وأخبره بما جرى له مع عمته وسأله: لم لا يجلس

(١) ذكره السيوطي في "شرح الصدور"، باب فتنة القبر وسؤال الملكين، ص ١٤٢.



عندك قاطع رحم؟ فقال سيدنا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: إنني سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ الرَّحْمَةَ لَا تَنْزِلُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ»<sup>(١)</sup>. وحكي أن رجلاً من الأغنياء حجَّ إلى بيت الله الحرام، فلما وصل إلى مكة، أودع من ماله ألف دينار عند رجل، كان موسوماً بالأمانة والصلاح، إلى أن يقف بعرفات، ورجع إلى مكة، فوجد الرجل قد مات، فسأل أهله عن ماله، فلم يكن لهم به علم، فأتى علماء مكة، فأخبرهم بحاله وماله، فقالوا له: إذا كان نصف الليل فأت زمزم، وانظر فيها، وناد يا فلان باسمه، فإن كان من أهل الجنة، فسيجيئك أوّل مرّة، فمضى الرجل ونادى في زمزم، فلم يجب أحدٌ، فجاء إليهم، وأخبرهم فقالوا: إنّنا لله وإنا إليه راجعون، نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار، اذهب إلى أرض اليمن، ففيها بئر يسمّى برهوت، يقال: إنّهُ على فم جهنّم، فانظر فيه بالليل وناده: يا فلان، فإن كان من أهل النار فسيجيئك منها، فمضى إلى اليمن وسأل عن البئر،

(١) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد"، باب لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم، ص ٢٧، (٦٣)، والذهبي في "كتاب الكبائر"، الكبيرة التاسعة، ص ٥٣.

فدُلَّ عليها، فأتاها بالليل، ونظر فيها ونادى: يا فلان فأجابه، فقال: أين ذهبي؟ قال: دفنته في الموضع الفلاني من داري، ولم أتمن عليه ولدي، فأتهم واحفر هناك له تجده فقال له: ما الذي أنزلك هاهنا، وكنا نظنّ بك الخير؟ فقال: كان لي أخت فقيرة، هجرتها، وكنتُ لا أحنو عليها، فعاقبني الله سبحانه بسببها، وأنزلي الله عزّ وجلّ هذه المنزلة<sup>(١)</sup>.

**أيها المسلمون:** قطيعة الرحم من كبائر الذنوب، متوعّد صاحبها باللعنة والثبور، والتدابُرُ بين ذوي القربى مؤذِنٌ بسوء العاقبة وتعجيل العقوبة، ففي الحديث الشريف عن سيدنا جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه أنّه سمع النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم يقول: «لا يدخل الجنّة قاطع»<sup>(٢)</sup>.

وسأذكر لكم بعض الأحاديث النبوية الكريمة التي تحضّ على تحمل المسؤولية الكاملة ورعاية الأهل والقيام عليهم:

[١]: «ألا كلّكم راع، وكلّكم مسؤولٌ عن رعيّته»<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكره الذهبي في "كتاب الكبائر"، الكبيرة التاسعة: هجر الأقارب، ص ٥٤.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأدب، ٩٧/٤، (٥٩٨٤).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأحكام، باب قول الله: وأطيعوا الله،

٤٥٣/٤، (٧١٣٧).

[٢]: «أَيُّمَا رَاعٍ اسْتَرَعَى رَعِيَّةً فَعَشَّهَا فَهُوَ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

[٣]: «مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحْطِهَا  
بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

[٤]: «لِيَأْتِيَنَّ عَلَى الْقَاضِي الْعَدْلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَةً، يَتَمَنَّى  
أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطًّا»<sup>(٣)</sup>.

[٥]: «مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشِيرَةٍ، إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا  
حَتَّى يَفْكَ عَنْهُ الْعَدْلُ، أَوْ يَنْفِقَهُ الْجَوْرُ»<sup>(٤)</sup>.

[٦]: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلي مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْتَقْ  
عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلي مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا، فَفَرَّقْ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»<sup>(٥)</sup>.

[٧]: «مَنْ وُلَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ،  
فَاحْتَجِبْ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتْهُمْ وَفَقَرَهُمْ احْتَجِبَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ  
دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتْهُ وَفَقَرَهُ»<sup>(٦)</sup>.

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، ٢٨٤/٧، (٢٠٣١١).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأحكام، ٤٥٦/٤، (٧١٥٠).

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، مسند السيدة عائشة، ٣٥١/٩، (٢٤٥١٨).

(٤) أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى"، كتاب الصلاة، باب كراهية الولاية جملة،  
١٨٤/٣، (٥٣٤٥).

(٥) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الإمارة، ص ١٠١٦، (١٨٢٨).

(٦) أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب الخراج والفيء، ١٨٩/٣، (٢٩٤٨). (٥٨).